

شعر

٣

ليل يسع الأرض

قصائد

زهير أبو شايب

ما يَكْفِي من العتمة

عندي من العتمةِ

ما يَكْفِي لأن أبنِي ليلاً يَسْعُ الأرضَ،

وعندي

كلُّ ما يحتاجُه المَيِّتُ من وقتٍ

ليَعْتَادَ على الموتِ الصَّحِيحِ.

زهير أبو شايب، شاعر من الأردن.

لا أَهْلَ
لا أَعْدَاءَ لِي
لا ضَوْءَ
لا رِثْبَةَ
لا نِسْوَةَ يَعْمُرْنَ ضَرْبِحِي.

لم أَعْتَرَفْ بَعْدُ بِأَبِي
مِتُّ مِنْ كَثْرَةِ مَا أَجَلْتُ مِيلَادِي
وَمِنْ كَثْرَةِ مَا شُبِّهَ لِي أَتِي حَيٌّ
وَالْهَيَّ
وَمَرْفُوعٌ إِلَى صَدْرِ السَّمَوَاتِ الْفَسِيحِ.
وَلَمْ أَطْعُ قَطَّ سِوَى الْغَرِيبَةِ
لَمْ أَصْلَبُ
وَلَمْ يُصْلَبْ عَلَيَّ الْأَرْضِ
مَسِيحِي

سَيِّانَ إِنْ كُنْتُ مِنَ الظِّلِّ
وَإِنْ كُنْتُ مِنَ الطِّينِ الْفَصِيحِ.

عِنْدِي مِنَ الْعَتَمَةِ
مَا يَكْفِي لِأَنْ أَهْرَبَ مِنْ نَفْسِي
إِلَى أَبْعَدِ رِيحٍ.

قَبْلَ انْكَسَارِ الضَّوِّءِ
لَمْ آتِ مِنْكَ.

أَتَيْتُ مِنْ عَدَمٍ
قَبْلَ انْكَسَارِ الضَّوِّ فِي الْحُلْمِ.
لَمْ تَتْرَكِي أَرْضاً.
مَضَيْتِ،
وَكَبَّكَتِ التَّرَابَ
عَلَى يَدَيَّ،
وَفَمِي.

حَلَفْتُ قَلْبِكَ بِالشَّرَابِ وَبِي
لَا تَتْرَكِينِي. مِتُّ مِنْ سَأْمِي
لَا تَذْهَبِي فِي اللَّيْلِ أَبْعَدَ مِنْ
هَذَا. أَنَا وَاللَّيْلُ... لَمْ تَنْمِ

رُؤْيَا

لَمْ يَعُدْ حَوْلَكَ
إِلَّا شَجَرٌ خَالَ مِنَ الضَّوِّ
سَمَاةً سَقَطَتْ مِنْ لَيْلِهَا فَيْكَ
وَلَمْ تَعْتُرْ عَلَيْهَا

الَّذِينَ انْتظَرُوا أَجْسَادَهُمْ فِي النَّوْمِ
حَتَّى بَرَدَتْ أَحْلَامُهُمْ
أَبَاؤُكَ الْأَكْثَرُ لَيْلًا وَأَسَاطِيرَ
الْمُشَاهِدِ
الظَّلَلِيَّونَ
الْخَفِيفُونَ عَلَى الْأَرْضِ
أَضَاعُوا وَضَاعُوا

ومشواً فيك
مشواً خلقك كالريح
مشواً

تحت جناح الليلِ
حتى اتسع الليلُ الوَساعُ

ربّما أنتَ الذي كنتَ تراني
وأنا أدخُلُ أحلامك كاللصِّ
لكي أسرقَ ضَوْءاً
وأرى ما لا تُرى
وأرى من أيِّ أمسٍ جئتَ بالليلِ
ومن أيِّ غدٍ

ربّما أنتَ الذي نمتَ
وأحلامك
زارتَ جسدي

مُجَرَّد اسم

أنسى السماءَ مُضاءً والأرضَ تَبْرُماً
مرّةً تأتي إليّ
ومرّةً تمضي إليّ غيري
وأنسى اسمي القديمَ

لديّ ما يكفي من الماضي
لأدفنَ فيه رأسي عندَ كُلِّ إشارةٍ

وأجرٌ ظلّي مثلَ نسرٍ ميّتٍ
أُنّي ذهبْتُ

لديّ ما يكفي من الماضي
لأنسى اسمي القديم
متى سمعتُ اسمي لآخرِ مرّةٍ
وسمعتُ صوتَ البحرِ فيه؟
متى عثرتُ عليه في الرؤيا
وأصبحَ صخرتي
أبني عليه كنيستي؟
ومتى ندرتُ له النذورَ
وحين جعتُ أكلته؟

ولديّ ما يكفي من الماضي
لأنسى أن أكونَ

أنا ابنُ فلاحينَ
ضاعوا في السماءِ
كما يضيّعُ الباحثونَ عن الخلودِ
وضيّعوا أسماءهم
وتعتقوا كالليلِ
ضاعَ البرقُ من يدهم
وضاعت عُشبةُ الأبدِ المملّ

أنا ابنُ فلاحينَ

لم أَخْتَرُ أَبِي
لَكُنْتَنِي اخْتَرْتُ الْحَيَاةَ عَلَى حِفَافِ الْمَوْتِ
حَيْثُ الْأَرْضُ تَبْرُمُ
ثُمَّ تَبْرُمُ
ثُمَّ تَرْجِعُ لِي
وَحَيْثُ أَرَى عَدُوِّي وَاضِحًا فِي النَّوْمِ
وَهُوَ يَجِيءُ مِنْ لَيْلٍ إِلَى لَيْلٍ
لِيَصْلُبَنِي عَلَى خَشَبِ اسْمِهِ
وَأَرَاهُ وَهُوَ مَجْرَدُ اسْمٍ
مِثْلَ أَيِّ ضَحِيَّةٍ
وَأَرَاهُ وَهُوَ أَنَا
وَأَنْسَى.

غَابَةُ عَذْرَاءٍ

كُنْتُ فِي اللَّيْلِ الَّذِي
سَأَلَ مِنْ غَابَتِهَا الْعَذْرَاءُ
كُنْتُ أَزِيحُ الْأَرْضَ عَنْ كَمَا تَهَا
كِي تَرَانِي

فَجَاءَهُ

فِي الْحُلْمِ مَرَّتَ
كَمَا مَرَّ نَبِيٌّ مِنْ صَلَاةٍ
وَأَيَّقَتْهُ الْبَرَائِكِينَ مِنَ النَّوْمِ
أَيَّقَتْهُ
الَّذِي لَقَعْتَهُ بِالِدُخَانِ.

كنتُ بينَ الليلِ والليلِ أخفي
جسدَيْنِ التَّبَسَا بِالْمَكَانِ
جسدَيْنِ انشَبَكَ
الروحُ على الروحِ
واللحمُ على اللحمِ بانِ
أنا هذا العُشْبُ، مرّت سماءُ
ورمّت لي وردةً كالدهانِ
أنا ما أبقتّه لي من جُنونِ
أنا ما لم تُبقِ لي من أمانِ